طبيعة الاستنارة

الاستنارة: كلمة كثيراً ما يرددها الروحانيون و مدعو الروحانية، فما هي ؟ و هل هي شيء أعمق من طبيعتنا و يتجاوزها ؟

فالاستنارة في الحقيقة طبيعة الأشياء، الأمر الذي نادراً ما يذكر، لكن أفكارنا متورطة باختلاق أهداف تعاكس تلك الطبيعة و لقبولها أصبحنا نعطيها تسميات جميلة كالتفوق على الطبيعة و هزيمتها... سبب واحد بسيط أوقعنا بتلك الورطة: طبيعة الأشياء حيث هي؛ طبيعتك حيث أنت.

ليست الطبيعة استفزازاً و لا هي تحديات كما أنها لا تريد منك أن تثبت نفسك أو غرورك... ليست الطبيعة نجماً بعيداً و لا مجرة نجوم نلهث لحساب كل شيء عنها لكن إشباع الفكر أمر صعب للغاية؛ لكن إشباع الفكر أمر شبه

obeikandl.com

مستحيل، فلا يمكنك أن تشعر بأنك شخص مميز ما لم تحقق غير القابل للتحقيق.

ليست الاستنارة موهبة و لا توجد قواسم مشتركة بينها وبين كونك رساماً، شاعراً أو عالماً فكل ذلك مواهب، الاستنارة بكل بساطة هي نبع حياتك و لست بحاجة لتخرج من منزلك لتبحث عنها في أي مكان و إذا فعلت ذلك فقد فقدت كل شيء و لا يمكن لأحد أن يعلم متى ستكون قادراً على العودة إلى البيت.

ليست الاستنارة سوى إدراك حقيقة واحدة: أنا تماماً ما أردت أن أكون على الدوام، و لم أكن شيئاً آخر كما لا يمكنني أن أكون ذلك الشيء الآخر... التعريف الوحيد للطبيعة هي: شيء لا يمكن تجاوزه أو المضي أعمق منه، يمكنك أن تبذل جهداً لذلك و لن تتسبب لنفسك بشيء سوى المأساة، التعب و التوتر... لا يمكن تجاوز الطبيعة... إنها أنت، فهل يمكنك تجاوز نفسك ؟

إنها مصدر حياتك... إنها وجودك و حيث ذهبت ستكون طبيعتك.

هناك تسجيلات لأناس ممن كان أول اختبار لذواتهم ضحك عميق يصل إلى البطن... غريب و مستحيل ما يحاولون تحقيقه ! يحول هؤلاء أن يكونوا أنفسهم و هذا هو الوحيد المستحيل في العالم لأنك أنت أنت و لا حاجة لتحاول فعل شيء، فكيف لك أن تحاول تحقيق شيء محقق .

لكن هناك فئة من الناس تدعى رجال الدين و شيوخه وعلماءه تريد منك أن تكون و تبقى عبداً مستعبداً من خلال نظرياتهم و عظاتهم حيث اعتادوا على القول بأنك إذا لم تسلك طريقاً محدداً يختارونه فأنت على ظلال و لن تكون إنساناً جيداً ما لم تقم بالأشياء التي يصفوها لك، ولكن لم ينهض منا من يسأل هؤلاء « من الذي منحكم تلك الحقوق لتحكموا على صلاحنا و فسادنا ؟ و إذا

كنتم ترون بأن نظاماً محدداً صحيح و جيد فاتبعوه لأنفسكم ولا حق لكم بأن تطلبوا منا اتباعكم.»

أعظم المفسدين و أعظم المسممين في العالم هم من اصطنعوا لأنفسهم أتباعاً يتبعونهم، فالتبعية تعني ببساطة أن تدفع لسخافة لا توافق طبيعتك، أن تتبع شخصاً ما أو شيئاً ما أو ديناً ما أو نظرية ما يعني أن تقول لنفسك سأحاول أن أكون شخصاً آخر لا أستطيع أن أكونه...

هذا ما أوجد هذا العالم البائس من حولنا.

لا يمكن لهذه المأساة أن تنحسر و تتلاشى ما لم ننظر لجذورها ... يمكننا و بكل سهولة الاستمرار بمراكمة الأشياء و الحاجات و المعدات التكنولوجية و غير التكنولوجية في حياتنا و هذا ما نقوم به بغير وعي لكن مأساتنا مستمرة، الغني بائس و الفقير بائس، لا بل أن الغني أكثر بؤساً لأن الفقير يمتلك آمال و أحلام على الأقل أما الغني فلا أحلام لديه و لا آمال فقد حقق كل ما يستطيع تحقيقه حتى وصلت حياته لأقصى درجة ممكنة

من التفاهة فالموت يقترب كل يوم؛ في كل يوم تصبح الحياة التي نبددها بمراكمة الأموال و الأشياء و المظاهر أقصر... يبدد أحدنا حياته بمحاولة أن يصبح قديساً و عابداً لآلهة وهمية مصطنعة، فعلنا كل هذا و لا نستطيع بكل بساطة أن نكون أنفسنا .

خلق واحد أود منك ألا تتقيد بسواه: لا تمضي باتجاه يخالف طبيعتك، حتى لو وجدت العالم بأسره و من مختلف الأعمار يخالفها فلا تبالي فلا علاقة لأي كان بك .

فعلوا ما شعروا بأنه صحيح بالنسبة لهم فافعل ما تشعر بأنه صحيح النسبة لك، و ما هو الصحيح؟ لا يمكن تحديده بأي نص أو بأي تشريع و لا يمكن تقرير ذلك وفقاً لأي مقياس خارجي .

هناك معيار أصيل واحد علينا استيعابه ... كل ما يجعلك أكثر سعادة جيد؛ النظام الأخلاقي الوحيد هو كل ما يجعلك أكثر فرحاً في الأعماق و الخطيئة الوحيدة هي

كل ما يجعلك أكثر شقاءً و الشيء الوحيد الذي عليك تجنبه هو كل شيء يأخذك بعيداً عن كينونتك .

فقط حلق فرحاً بما أنت عليه و أنت مستنير... أنت مستنير في الحقيقة و لا توجد أية طريقة لجعلك غير كذلك .

توجد في اليابان دمية في غاية الجمال و قد يكون صناعها صناع أجمل الدمى، يسمونها باليابانية دارهوما و هو الاسم الياباني لبودهي دهارما الذي صنعت الدمية وفقاً لتعاليمه و حكمه ... تتميز الدمية بأنها ثقيلة عند الأرجل و تخف صعوداً نحو الرأس، و بالتالي يمكنك رميها كيفما شئت لكنها لن تستقر سوى على وضعية واحدة يدعونها وضعية اللوتس و لا يمكنك فعل شيء حيال ذلك ... ربما نسي اليابانيون كل شيء عن الدمية و تحولت لمجرد دمية يلعب بها الأطفال لكنها في الحقيقة رمز اما كان يقوله دهارما و ما أكده أوشو فيما بعد بأنه لا توجد طريقة لجعلك غير مستنير .

من الذي قال لك بأنه عليك أن تستنير ؟؟!!!

بدأت إحدى المعلمات – و هي معلمة تقدمت في العمر و لم تتزوج بعد - بتقديم حديث تمهيدي في مدرسة للفتيات و قالت « أينما كنتن في الخارج فعليكن تذكر مايلي : عدم التدخين في الشوارع، الامتناع عن كل أشكال السلوك المنحرف و إذا حاول الرجال الاقتراب منك فتساءلي فيما إذا كانت ساعة واحدة من المتعة تستحق التورط في عار يستمر مدى الحياة ... و الآن هل من سؤال يا فتيات ؟ »

فسمعت صوتاً من مؤخرة القاعة يصرخ « و لم فعلت هذا منذ ساعة فقط ؟ »

توجد من بين من حولك فئة تقودك لتصبح مجنوناً... و إلا سيسير كل شيء كما ينبغي له أن يسير و هذا هو العالم الأكثر اكتمالاً الذي لا يفتقر لشيء لكن فئة من المجانين لا تستطيع الجلوس براحة أو هناءة دون أن تدفع ببعض الآخرين وراء أوهام و أخيلة لا يمكن إدراكها.

يزداد شعور هؤلاء بالتفاهة، بالبؤس و بالحزن كلما تبين لهم بأن تلك الأوهام غير قابلة للتحقيق.

لا تقبل أي معيار يجعلك تشعر باليأس؛ لا تقبل أية نظرية أخلاقية تجعلك تشعر بالخطيئة و لا تقبل أي شيء يحاول أن يفرض عليك أي شيء يخالف طبيعتك البسيطة.

كن من أنت فقط و أنت بذلك كامل تام.

ابتعد عن حقيقة ما أنت لتقع في مشكلة، و جميعنا في الحقيقة قد وقع في مشكلة لكن لا يوجد من هو في مأساة حقيقية بل على العكس هناك من يفرح و يبالغ في الفرح في مأساته ... تشعر بالتعاطف عندما ترى من نما وتطور و أزهر وروداً جميلة قد تلاشى و فقد طريق العودة إلى البيت، و ترى بعضهم يحاول مساعدته بإرشاده للذهاب إلى مكان مختلف و يقولون « كن بوذا، كن المسيح و كن موسى... » و لكن لا يوجد من يقول لك كن ما أنت و يكفي !!

ما الذي يربطك بموسى ؟ ما هي القواسم المشتركة بينك و بين المسيح ؟ لكننا نعبد و نصلي و نأمل أن يصبح هؤلاء قدوة و مثلاً أعلى لتخيلاتنا! سنخفق دون شك... نحن ورود و سنصبح ورداً متفتحة و ليقل العالم ما يقل ... لا تبالي .

عندما نقرر و ننادي للدفاع عن حقوقنا لا نكون مغرورين أو استكباريين بل مدافعين عن أنفسنا بمواجهة عالم مجرم فاسد منذ آلاف الأعوام؛ لنا كامل الحق لحماية أنفسنا من السم، و عندها لن نكون بحاجة لأي إله أو لأي دين و لن نكون بحاجة لأية نظرية أخلاقية... لن نكون بحاجة لبذل أي جهد لتحقيق الاستنارة... أن تكون طبيعياً أكثر بكثير مما يمكنك أن تتصور.

خلافاً للإنسان الوجود بأكمله مستنير و لا يوجد من يحاول تحقيق شيء... يحيا الجميع براحة و وئام مع الكون.

يقول عالم مشهور و يدعى جوليان هاكسلي Julian Huxley أنه لا بد و أن خطأ قد وقع في بنية الإنسان فلا توجد أية شجرة تعاني من التوتر، و لا ينتحر أي حيوان في

البرية كما لا يمارس أي حيوان بري اللوطية ، لكن أشياءً غريبة تحدث في حدائق الحيوانات.

فعندما يتم احتجاز الحيوانات في الحدائق تبدأ بتعلم بعض من صفاتنا العظيمة؛ عندما يتم احتجاز الحيوانات في الحدائق تبدأ بممارسة اللوطية و قد عثر على حيوانات تحاول الانتحار في حدائقها... لقد انحرفت و أصبحت تقوم بممارسات لم يسبق لأي من أسلافها أن قام بها... ما الذي حصل هناك ؟ لقد دمرت... لقد أصبحت غير طبيعية.

خلافاً للإنسان يحيا الوجود براحة و في آراء جوليان هاكسلي بعض الواقعية... قد يكون من عدم الممكن إثبات ما الذي حصل و ما الخطأ الذي وقع في بنية الإنسان فلهذا الأخير بنية غاية في التعقيد لكن المؤكد أن خطأً قد وقع في مكان ما.

من المؤكد أن هذا الخطأ ليس تكوينياً و لا هو ولادي و لا وراثي بل يحدث لكل طفل يولد في هذا المجتمع الذي نتفق جميعاً على أنه مجتمع غير سليم، و على الطفل تعلم

كل شيء يفعله المحيطون به و الذين هم غير سليمين أيضاً... يحصل الطفل مع الوقت على بعض الذكاء لكنه يكون قد تسمم و تحول بنجاح إلى نسخة لا تجيد سوى التقليد.

الأطفال أبرياء تماماً و يأتون إلى العالم دون أدنى فكرة عما سيجري، ثم يجد الطفل نفسه محاطاً بأناس يبدأ بتقليدهم... لا يملك الطفل طريقة أخرى للتعلم و هنا يحدث الخطأ الذي اعتقده جوليان تكوينياً ... لا ليس تكوينياً بل خطأ بفعل الثقافة و التعلم.

لا يملك الطفل حلاً آخراً: عليه أن يتعلم كل شيء من أناس منحرفين لا يمكن لهم قبول شخص غير منحرف منحرف عنهم.

بدون شك سيرفض المجتمع كل من هو سليم عقلياً ويحاول تسميمه أو رجمه حتى الموت لأنه أمام خيارين: إما أن يكون الفرد بمفرده على صواب و بالتالي سيكون كامل التاريخ على خطأ و إما أن يكون المجتمع و تاريخه

الطويل على حق و بالتالي لا بد من التخلص من الفرد الشاذ و إلا ستكون هناك إشارة استفهام أبدية.

وعليه لم يأت تسميم سقراط من فراغ و دون أسباب، فسقراط رجل لا يطاق لأن مجرد وجوده يجرح ففي ذكائه و براءته برهان على زيف و رياء ما نحن عليه و من الطبيعي ألا تقبل الجموع آراء إنسان واحد مخالف للتاريخ بأكمله، لذلك كان من الأفضل التخلص منه و القضاء عليه... يجب التخلص منه لأنه بتذمر مستمر و دائماً ما يقول بأننا لسنا أبرياء و بأننا نحيا بالأكاذيب؛ بأن كل أشكال الآلهة لدينا أوهام و بأن آمالنا ليست سوى أوهام للتعزية ... بأننا نحاول أن نخفي عرينا.

نعلم جميعاً يقيناً أننا نتحول داخل ملابسنا لأشخاص مختلفين تماماً... و يعمل سقراط و أمثاله على تذكيرنا و من المؤذي أن يذكرك الآخرون و أن يلفتوا انتباهك بأنك لست بريئاً مع نفسك... من المؤلم أن تعلم بأن حبك ليس حباً بل غيرة؛ إنه شكل مقنع للكراهية، مؤلم أن تعلم أن

آلهتك و إلهك ليسا سوى وهم مزيف و مؤلم أن تعلم أنه في قصة خلقك و في كتبك المقدسة من عدم القداسة ما في أي كتاب آخر... ألا يبدو من الأسهل التخلص من أشخاص مثل سقراط و أوشو و الاستراحة مع المأساة، ثم بداية العمل من جديد لتحقيق الاستنارة.

قصة غريبة بالفعل: عندما نجد إنساناً طبيعياً مستنيراً نعمل عل تصفيته ثم نبدأ بالبحث عن طريق توصلنا للاستنارة... ربما يكون تساؤلنا عن طريق لتحقيق الاستنارة طريقة مخادعة لتأجيلها.

في الحقيقة خطأ أن نقول تأجيلاً، فأنت مستنير و تحاول أن تكون غير كذلك، كل جهودك لتكون محمدياً أو مسيحياً أو غير ذلك هي في الحقيقة وسائل لتجعلك غير مستنير أو لتجعلك غير قادر على ملاحظة استنارتك عندما تم تسميم سقراط كانت أثينا تعاني مما ندعوه ديمقراطية، فقد سمح لكل من قبل العبودية بحق التصويت على قرارات المدينة التي كانت تنفيذها بحاجة

لموافقة جميع السكان... كان رئيس المحكمة الذي توجب عليه تحديد فيما لو كانت الأكثرية تريد تسميم سقراط أم تحريره في غاية الحيرة، فقد كان سقراط بسيطاً و بريئاً كالأطفال تقريباً، لم يؤذي أحداً و لم يرتكب جرائماً الأمر الذي سأله سقراط نفسه أمام المحكمة « فقط أخبرني ما هي جريمتي ؟! »

لم تكن هناك أية جريمة أو اتهام ضد الرجل مما دفع رئيس المحكمة ليهمس في أذنه «جريمتك أنك وجود إنساني طبيعي و لا أستطيع قول ذلك جهراً و بصوت مرتفع لأنني أعلم يقيناً بأنهم إذا لم يستطيعوا أن يغفروا لك فلن يستطيعوا أن يغفروا لي، أقدر عالياً براءتك و لا أريد لمن هو مثلك أن يسمم، أنت رجل استثنائي وقد أثبت أنه يمكن للإنسان أن يكون بريئاً إلى هذه الدرجة؛ أثبتت أنه يمكن للإنسان أن يكون صادقاً لهذه الدرجة و أثبتت أن بإمكانه أن يكون حياً لهذه الدرجة... أمامك خيار من ثلاثة أولها: لا تطبق قوانين أثينا خارج حدودها فيمكنك

المغادرة و افتتاح مدرستك في الخارج و عندها يمكن لمن يحبك الذهاب إليك، أنا متأكد بأن الأجيال الشابة مؤمنة بك أما الأجيال الأكبر.... !!! »

ولكن في تلك الأيام كانت أجيال البالغين تشكل الغالبية حيث كان يموت تسعة من كل عشرة أطفال قبل بلوغ العام الثاني من العمر أما اليوم فقد انعكست الحالة وينجو تسعة من كل عشرة أطفال... إنها أول حالة تشكل فيها الأجيال الشابة غالبية العالم.

فقال القاضي « عليك ببساطة مغادرة المدينة...» فأجاب «سيكون جبناً، الموت قادم عاجلاً أم آجلاً و أنا مسن بما فيه الكفاية و لا أريد أن تقول أجيال المستقبل هرب سقراط من أثينا خوفاً من الموت... اعذرني من فضلك لا أستطيع المغادرة. »

فقال القاضي «الخيار البسيط الثاني هو أن تتوقف عن التعليم... بإمكانك البقاء في أثينا ولكن لا تتحدث عن

حقائقك، لا تتحدث عن أهمية جعل الناس أبرياء صادقين.»

فأجاب سقراط « تطلب أشياء لا أستطيع القيام بها، فأي نفع لحياتي إذا لم أكن قادراً على بلوغ إزهاري الأكمل ؟ عندما تتفتح الأشجار تعتبر الورود مجبرة بالتواجد عليها وعلى عطرها الوصول لكل من لديه الاستعداد لاستقباله، سأواصل الحديث عن الحقيقة و سأواصل الطلب من الناس أن يكونوا أبرياء و طبيعيين و إلا سيكونوا منافقين وفقاً لما يسمونه أدياناً . »

فقال رئيس المحكمة « أنا عاجز إذاً و عليك قبول الحل الثالث و هو التسمم، ترى الأكثرية التي لا تملك ضدك أي دليل أن مجرد وجودك فساد؛ أن مجرد وجودك كفيل بتدمير الشباب و كفيل بإبعادهم عن الطريق التي شقها القدماء، يجعل وجودك الأفراد حازمين و يمنحهم الشجاعة ليكونوا أحراراً و ليقفوا على أقدامهم حتى لو اضطروا لمواجهة المجتمع كاملاً. »

فقال سقراط « لا مشكلة في الموت و أنا موافق، أختار الموت لسبب واحد جميل: عشت بمجد و تألق و ها أنا أموت بتألق أعظم . »

استلقى سقراط في السرير ريثما ينتهي إعداد السم له... كان الرجل الذي يعد السم و قد أعده لسجناء عدة من قبل يحاول تأخير العملية قدر الإمكان فقد شعر بأن هذا السجين بريء و يريد منحه لا عدة دقائق إضافية، و كان يفكر « أنا عبد مأمور و هذا كل ما بوسعي تقديمه . » لذلك أعد السم بأقصى بطء ممكن .

لكن سقراطاً جاء إلى الباب و قال « أنت مخادع، أنت لست رجلاً صادقاً فقد أعطيت لك الأوامر بأن يكون السم قد أعطي لي عند غروب الشمس و ها هي قد غربت و لم يتم إعداد السم بعد، أشعر بأنك تحاول منحي عدة دقائق إضافية، لا مشكلة في الأمر فأنا مستعد للذهاب إلى المجهول... عرفت الحياة بما فيه الكفاية فلا تؤخر ذهابي للتعرف على أسرار الموت الغامضة . »

كان من أصدق الناس بما يخص الحديث عما يجري بعد الموت فقد رفض قول شيء و كان يقول « دعني أموت أولاً... لا أستطيع قول شيء قبل أن أعرف... كل الذين يتحدثون عما يجري هناك كاذبون مخادعون لأنهم ما زالوا أحياءً و لا يعلمون شيئاً عن الموت... لا تجبرني على أن أكون مثلهم فلن أتحدث إلا عن اختباراتي . »

فقال للرجل الذي كان يعد السم « أسرع من فضلك فالتلاميذ بانتظاري و أتمنى أن أعطيهم بعض الإشارات عن الموت كاختبار. »

أعطي السم لسقراط و عندما بلغ أقصى درجات وعيه قال للتلاميذ « لا أشعر بشيء حتى ركبتي ... » انهار وقال « أتم السم عمله حتى ركبتي لكنني أريدكم أن تتذكروا شيئاً واحداً : تلاشت الركبتان لكنني لا زلت مكتملاً ولم أفقد شيئاً...» بعدها انهارت الأرجل بكاملها تبعتها الأيدي ثم بدأ النفس بالتباطؤ ثم قال « لا أستطيع قول شيء آخر و لكن اعلموا بأن الجسد بأكمله قد مات

تقريباً و لم يتبقى سوى عدة أنفاس و سأمضي لكنني كامل مكتمل و وعيي قمة في النقاء. »

انظر لدرجة صدقه... يمكن لرجل كهذا أن يقول بأن منابع حياتك تتصل بالأبدية... رجال كسقراط لا يموتون كما تموت أجسادنا بل يغيرون منازلهم... كنت هنا وستبقى هنا... أنت جزء؛ أنت جزء مهم؛ جزء مهم و لا يمكن الاستغناء عنه من هذا الوجود العظيم الراقص.

فقط كن طبيعياً لتبقى في تناغم دائم مع الوجود؛ لتبقى قادراً على الرقص في المطر؛ لتبقى قادراً على الرقص مع الشمس والأشجار... كن طبيعياً لتبقى قادراً على التواصل مع الصخور و الجبال و مع النجوم.

خلافاً لذلك لا توجد أية استنارة.

دعني أعرفها لك « الاستنارة أن تكون بانسجام و تناغم مع الوجود... الاستنارة أن تكون بتناغم دائم مع الطبيعة؛ أن تكون بتناغم مع طبيعة الأشياء... البؤس وحده ما

تحصل عليه عندما تخالف الطبيعة... بؤس تتسبب به لنفسك و أنت وحدك المسؤول عنه و لا علاقة لأحد به.

obeikandl.com